Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السجن من باب التذكير بالقمع الذي وقع عليه من جراء ممارسته للعمل الوطني. وقد لاحظنا، في مكان آخر، أن لذلك طابعا إيديولوجيا يجب أن يُرى في علاقة السجن بالظروف العامة للنضال الوطني، فهو في أحد معانيه الظاهرة ضريبة مفروضة لا يسلم منها المناضل. وأما في الحالة الثانية فالسجن بهذا المعنى لا يمحو الشخصية بل يضفي عليها، انطلاقا من سلّم قيمي معين، اعتبارا يستفردها بالنضال والمقارمة ومواجهة الاستعمار، وما شاكل ذلك من المحمولات الإيديولوجية والثقافية التي ركزها العمل الوطني لتسويغ الفداء. فالمؤلف الذي يسرد بضمير الأنا المتكلم دخوله إلى السجن، يحول الدخول إلى قيمة تشخص معنى الفداء، من خلال دلالتين إثنتين على الأقل: الفداء كالتزام شخصي بالتضحية (القضية الوطنية)، والفداء في مواجهة المستبدين (الحماية الفرنسية). ولو جعلنا مفهوم الفداء في السياق الذي كان له في الخمسينيات مثلا، لوجدناه متلبسا بجميع معاني الرفعة التي كانت، أيامئذ، تعطى للنشاط السياسي المقاوم. ولو استحضرنا الفترة التي ألف فيها عبد الكريم غلاب (سبعة أبواب)، حوالي 1965، لقلنا، ولو على سبيل التخمين، إن التباعد الزمني النسبي حوله إلى قيمة استثنائية لا تعطى، حسب متطلبات المقام، إلا للذين حققوا للبلاد رفعتها، وهم قلة كما يمكن الاستنتاج من المبررات التي يعرضها الفكر الوطني في الاعتبار بالماضي، والاحتكام إلى سلم قيمه في التزكية أو الإدانة.

كما يمكن أن نلاحظ في الحالة الثانية، أن الماضي لم يعد سلسلة من الوقائع والأحداث، بل رتبة. ذلك أن الكتابة عن الذات لا تُعنى فقط بأطوار التخلق وبمراحل التكون، بل بما يمكن الاصطلاح على تسميته بالقيم. ونحن لا نتعرف على الشخصية إلا في بعدها النضالي، وهذا البعد يحيلنا على المشاركة في الشأن الوطنى، وتجد في هذه المشاركة ما يعبر عن التضحية..وهكذا. سلسلة من القيم السامية التي تؤلف نوعا من الوعي الجماعي. ومن أهم ما يمكن استنتاجه، أن الشخصية التي تدخل إلى السجن بمثل هذه القيم، تبدو لنفسها في النص امتيازية ومختارة (الامتنان الذاتي)، لا يدانيها في ذلك إلا من كان مثلها متسلحا بنفس القيم التي أودت بها إلى السجن. مثلما تبدو للقارئ مخصوصة عالية المقام ذات مثل ومبادئ، على خلاف باقي الشخصيات الأخرى المنحطة المسرودة في النص. تقوم الكتابة السيرذاتية، إذن، في الحالتين ببناء تاريخ الأنا انطلاقا من نظام إيديولوجي ذي مواصفات أخلاقية معينة، في محاولة لتركيز هوية الشخصية، اعتمادا على سلم القيم. وعندما نقرأ سيرة الذات على ضوء ذلك، فإنها تحيلنا، في الواقع، على وجود مطلق يجد فيه المؤلف صورته التامة.